

الوصية الجلية للسالكين طريقة الخلوتية

تصنيف

قطب الدين الأستاذ سيدي مصطفى بن كمال الدين البكري

تحقيق

الشيخ أحمد فريد المزبدي

الناشر

دار الحقيقة

للبحث العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نعمه لا تحصى، والآؤه الجميلة لا تستقصى، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، نبي بأنوار طلعت ببارق الدين الحنفي حصحصاً^(١)، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه المبررات نصّ على فضلهم الحق في كتابه نصّاً، وعلى أصحابه الذين اهتدوا بأنوار شريعته واتبعوه، ونالوا القرب بمتابعتهم، وكل منهم بجمال الثناء على ذاته اختص.

وسلم تسليماً كثيراً وبعد.

فيقول العبد الفقير، والعاجز الحقير، تراب الأقدام، وخادم الخدام مصطفى بن كمال الدين بن علي، الصديقي نسباً، الخلوتي طريقة، الحنفي مذهباً: لما من الله سبحانه وتعالى بزيارتي للبيت المقدس الأقدس، والمنزل السامي الأنفس، ثم من عليّ بزيارتي لكليمة موسى عليه السلام، وخليله إبراهيم عليه السلام، وأولاده الكرام، وبقية الأنبياء الأعلام، ثم بزيارتي للأنبياء الذين في جبال نابلس حين ذهابي إلى زيارة سيدي الشيخ علي بن خليل العمري - قدس الله سره - ثم بعد ذلك قضى بتوجهي إلى نحو أراضي دمشق الشام المحفوفة باللطف والإنعام، وكانت مدة إقامتي في بيت المقدس ستة أشهر وبعض أيام، وذلك لأنني خرجت من الشام في تاسع محرم الحرام سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، ودخلت بيت المقدس في التاسع والعشرين من محرم الحرام، وعزمنا على التوجه في أوائل شعبان المبارك من السنة المذكورة، وكان قد اتصل بطريقتنا الطريقة الخلوتية جماعة، فلما أردنا التوجه قصدنا أن نتحفهم بوصية مختصرة جامعة لأغلب أركان الطريق؛ لتكون منبهة لهم فيما يحتاجونه من التخلق بأخلاق أولئك الفريق، والله أسأل أن ينفع بها من طالعها، وعمل بما فيها من الإخوان، وأن يجعلها سبباً لجليهم إلى نيل مقامات الإحسان، إنه سبحانه على كل شيء قدير، وعباده خبير بصير.

وسميتها: «الوصية الجليلة للسالكين لطريقة الخلوتية». فأقول ومنه سبحانه ارحمني

نيل القبول:

(١) في نسخة (حصي).

اعلموا إخواني - وفقني الله وإياكم في السلوك طريق المقربين الأخيار، وعصمنا من الزيف عن الشريعة المحمدية، والاعتزاز - أن طريق السادة العارفين من أهل الحق والطريق المبين - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - طريق غيب غير محسوس ولا مشهود، وسلوكه بالقلوب؛ لأنه من الغيوب، فيجب على المريدين التصديق بآثاره، والإذعان لسطعات أنواره مع الجِدِّ والاجتهاد، والتوجه الكلي والاستعداد؛ لأن سلوكه يصعب على النفوس؛ لكونه علم ذوق لا يسطر في الطروس، فمثال السالك فيه كمثل السائر في طريق الحج، فإن من أراد السير في طريق الحج لا بد له من ترك مألوفاته، وهنا كذلك.

ثم يترك الأهل والأوطان رغبةً في رضا الملك الدِّيان، وكذلك هنا لا بد له ألا يلتفت إلى أهل ولا أوطان ولا أصحاب ولا خلان، بل لا بد له من زاد وهو هنا التقوى لقوله عز من قائل: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

ولا بد له من سلاح ليضرب به عدوه، وهو هنا الذكر.

ولا بد له من مركوب حتى يهون عليه الطريق، وهنا المقصود منه المهمة؛ لأن بها يرتقي المريد إلى أعلى المقامات.

ولا بد له من دليل يسير أمامه، وهو هنا الأستاذ المربي، فإن من سلك الطريق بغير دليل تاه وضل، وربما هلك مع الهالكين.

ولقد أشرت إلى ذلك بقولي سابقاً في الرسالة التي سميتها «النصيحة السنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية»:

إن لم يكن تشهد لحسي سعاد	لا تنزلن منازل الآساد
أو إن تكن سكران من خمر السوى	إياك أن تدنو لأرض الوادي
فلئن دنوت أصبت من آساده	وطردت عن ذاك المقام النادي
فإذا أردت فخذ إمامك سيّداً	يحميك من طرد ومن إبعاد
من بعد سر بقاء ظل ركابه	واعرف له حق المقام البادي
إياك أن ترقى بلا درج فإن	تصعد هلكت ولم تنل المراد

أو أن تسير بغير معرفة سار
هذي عروس أين من تجلى له
إياك دعوى الوصل قبل وصولها
فالزم إلى حي السكوت ميمًا
ض الفسوز عند ذوي المكان الشادي
هذي المليحة أين من يك صادي
فإذا فعلت فضحت في الإسهاد
أرض الخفاء ومنزل الأفراد
ولا بد له من رفقة يستأنس بهم في طريقه، يساعدونه في سحقه وتمزيقه، والمقصود
منهم إخوانه الذين هم طالبون مطلبه.

ثم إنه إذا سار وأراد أن يشعل مصباح الحكمة في بيت قلبه المظلم من آثار السوى
والعمل بالخطأ والهوى ليرى ما فيه من الرذائل فيطهره منها ويخرج بكلية عنها فلا بد له
من سبعة أشياء؛ لأن من أراد أن يوقد مصباحًا لا بد له منها، وهي: الزناد، والحجر،
والحراق، والكبريت، والمسرجة، والفتيلة، والذهن.

فمن طلب أن يوقد مصباح الحكمة فلا بد له من زناد الجهد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ولا بد له أيضًا من حجر التضرع، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾
[الأعراف: ٥٥].

ولا بد له من حراق، وهو احتراق النفس بالمخالفة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١].

ولا بد له من كبريت الإنابة، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾
[الزمر: ٥٤].

ولا بد له من مسرجة الصبر، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾
[الأنفال: ٤٦].

ولا بد له من فتيلة الشكر، قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

ولا بد له من دهن الرضاء بالقضاء قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٩].

فإذا تخلق المريد بهذه الأوصاف السبعة فحيثئذ يمكنه أن يشعل مصباح الحكمة في قلبه، وهذه أول كرامة يكرم الله تعالى بها المريد أن يوقد في قلبه مصباحاً ملكوتياً حتى أنه بعد ذلك إذا دست عليه النفس دسيئة يطلعه الله عليها لوجود ذلك النور المقذوف في القلب، فتقل عليه الدسائس النفسانية، وإنما قلنا: تقل؛ لأنها ربما دست دسيئة قبيحة، وزينت للمريد أنها جميلة، فإذا نبهه الله تعالى عليها نجا منها وإلا وقع فيها، وأيضاً فقد شبهوا القلب ببيت فيه خمس كرات يدخل منها الهواء إذا فتحت، وإذا غلقت امتنع دخول الريح إلى ذلك البيت، فعند غلقها يقوى نور ذلك المصباح، ويشرق البيت به، وإذا فتحت تلك الكرات أو أحدها ضعف إشراق ذلك المصباح، وربما طفى.

فالْمَقْصود من الكرات الخمس: الحواس الخمس، فإذا شغل المريد الحواس الخمس اشتغل القلب لاشتغالها، وكذا لبعضها، وإذا منعها من الاشتغال بغير الحق تعالى اشتغل القلب بمراقبة جلال الحق، وعظمته وكبريائه التي هي كناية عن المصباح.

ومعلوم أن هذه المراقبة هي التي يهدي بها أهل الطريق، ويحصل لهم بها كمال التوجيه، فإذا غفل المريد عنها فكأنه أطفأ ذلك المصباح.

فينبغي لسالكين طريق القوم - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم - أن يفرغوا قلوبهم من كل علة عن كل مبعّد من حضرات القرب؛ لأن في ذلك حياة القلوب، وفيه استمطار ماء الغيوب، والمدد الإلهي لا يقع إلا في قلوب فارغة متعطشة إلى ذلك غالباً، فليجتهد المريدون لنيل هذه الإمدادات الإلهية في التخلية لينالوا بعدها التحلية، فإن من لم يتخل لا يتحل.

ثم مما يجب على الإخوان - وفقهم الله تعالى إلى اجتناء ثمرات العرفان - أن يعرفوا أولاً قبل كل شيء ما يجب لمولانا جل وعز، وما يجوز، وما يستحيل، وكذلك في حق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ثم يعرف المريد ما يحتاج إليه من باب الطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة إن وجد عنده النصاب، والحج إن وجب عليه ذلك بقدر الضرورة.

ولا يشتغل في القدر الزائد على ذلك إلا بعد الكمال، فإن أهل الطريق يجب عليهم ألا يخطوا خطوة ينكرها الشرع عليهم، فإن كل من خالف الشريعة المحمدية تاه وضل عن

الطريقة المرضية، فالشريعة أصل، والحقيقة فرعها، فكل من لم يحكم الأصل لا ينتفع بالفرع، ولهذا كان سيد رؤساء هذه الطائفة أبو سليمان الداراني - قدس الله سره - يقول: ما حرموا الوصول إلا بتضييعهم الأصول.

فشريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا شريعة باطلة، ولهذا قال الشيخ محيي الدين - قدس الله سره -:

لا تقتدي بالسذي زالت شريعته عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

وعما يجب عليهم القيام بأوراد الطريق جميعها من غير إخلال بشيء منها، وأن يوبخوا نفوسهم إذا تخلفوا عن مجلس ذكر أو وعظ وغير ذلك، فيقول المتخلف في حضرة إخوانه: يا فرحكم، حضرتتم المجلس، وباشقاوتي، الذي فاتني ذلك، وليحذر المتخلف أن يعتاد ذلك، فيوقعه في الكسل، ويجرم بركة الاجتماع مع إخوانه في الذكر والأوراد، فإن الذاكر جالس في حضرة الله تعالى، وإذا دخل المريد وحده إلى تلك الحضرة ربما حصل له في تلك الحضرة هبة تمنعه من الاستغراق والتماهي في تلك الحضرة، وإذا كان مع إخوانه لا يحصل له شيء من ذلك.

وأيضاً فإنه إذا كان مع إخوانه حكم لنفسه بتبيل الخير، وحصول الرحمة، وأما إذا كان وحده، فإنه لا يحكم لنفسه بذلك لما يعلم هو من أحوال نفسه، ولعدم رؤية نفسه أنه أهلاً للرحمة، والذاكرون لله هم القوم لا يشقى جلسهم، فإذا جلس معهم من يرى نفسه أنه ليس أهلاً للرحمة الخاصة تحقق بمجالسته لإخوانه حصول الرحمة العامة لهم.

وأيضاً فإن المؤمنين كالبنين يشد بعضه بعضاً، فإذا تخلف واحد من الإخوان وتماهي علي ذلك وكان ذلك لغير عذر ضروري ربما تبعه في ذلك آخر، والآخر آخر فتبعه جميع إخوانه، فيكون هو الذي يتحمل وزر هذه السيئة، وتكتب في صحيفته، وكان سيدي إبراهيم الدسوقي - قدس الله سره - يقول: ما قطع مريد ورده يوماً إلا قطع الله عنه الإمداد في ذلك اليوم، فإن طريق القوم طريق تحقيق، وتصديق، وجهد، وعمل، وتنزه، وغض بصر، وطهارة يد وفرج ولسان، فمن خالف شيئاً من أفعالها رفضته كرهاً.

وكان يقول ﷺ: قوت المريد الصادق في بدايته الجوع، ومطره الدموع، وفطره الرجوع، يصوم حتى يرق، ويلين قلبه، وتدخل الرقة في قلبه، وأما من شبع ونام ولغا في

الكلام، وترخص، وقال: ليس على فاعل ذلك ملام فلا يجيء منه شيء، والسلام.

ومن أوصافهم: ألا يقول أحد منهم مالي، ولا متاعي، ولا كتابي، ولا ثوبي؛ لأن العبد لا ملك له مع سيده، فلا يمنع أحدًا من إخوانه كتابه ولا ثوابه ولا حاجة من حوائجه إذا كان أحد إخوانه محتاجًا إليها، لأن الإخوان جميع ما لهم مشترك بين إخوانهم ليس لأحدهم ملك حاجة دون الآخر، وليس لهم أن يمتحنوا بعضهم بعضًا بطلب شيء لا تسمح به النفوس عادة إلا عند الاضطرار الكلي، وإذا طلب أحد من أخيه حاجة أن يكون طلبه برفق ولين، ويكون عطاء المستول أيضًا ببشاشة وفرح، ويرى أن الفضل للأخذ.

ومما يجب عليهم التخلق بالأخلاق الكريمة، وتجنب الأوصاف الذميمة؛ لأن التصوف هو الصفاء والوفاء، والتخلق بأخلاق المصطفى، ولقد ذكرت في الرسالة المتقدم ذكرها، تفسير أبي العباس المرسي الصوفي فسبكت ذلك في أبيات وهي هذه:

الصادق في الصوفي صدق مع صفا	والصبر في السراء والضراء
والواو وجد ثم ود صافي	وفناؤه جهراً بغير خفاء
والفاء فقد ثم فقر دائم	وفناؤه عنه لنيل مناء
والياء نسبة لحضرة ربه	فاعمل بهذا إن رمت للعلاء

ولا يكفي المريد التعلق بل لا بد له من التخلق، وهما يثمران التحقق، ومما يجب عليهم القيام بشروطه الثمانية قيامًا كليًا، وقد ضبطتها نظمًا فقلت:

شروط طريقنا المرضي عدت	ثمانية فلازم من حواها
ولازم ورد لها وانقض بمزم	لترقى في مراقبي من عناها
وتصبح واحدًا في الناس فردًا	خليلاً من سني باهي سناها
فعل صمت وجوع ثم سهر	لبيل الوصل كي تجنى جناحها
دوام طهارة ودوام ذكر	ونفسي خواطر فارق ذراها

وربط من مريد قلب وجد
بقلب الشيخ فاحرزها انتباهها
وقال ﷺ:

صمت وجوع سهر ثم اعتزال
دوامك تطهير فانفض للكمال
دوام ذكر نفسي كل خاطر
ويربط قلب بأم ذي منال
هذي الشان شروط فارعها
فإنها أركان سير للوصال

الأول: الصمت، وعلى المبتدئ أن يصمت بلسانه عن لغو الحديث، وبقلبه عن جميع الخواطر في شيء من الأشياء، فإن من صمت لسانه وقلبه انكشفت له الأسرار، وجلبت عليه المعارف الأبرار، فإذا صمت المريد بقلبه ولسانه انتقل إلى مقام المحادثة السرية؛ لأن صمت الإنسان في نفسه لا يمكن أصلاً، وهذا الصمت يورث معرفة الحق سبحانه وتعالى، ولقد قلت فيه:

انظر أخي لما في الصمت من حكم
واعمل به كي تنل قرباً وإحساناً
واصمت بقلبك عن كل الوجود وقم
في وصفه يافتى سرّاً وإعلاناً
فذاك نور به تهدي القلوب إلى
حظائر القدس تحقّقاً وإيقاناً

الثاني: الجوع، وهو اضطراري واختياري، وجوع أهل الطريق اختياري لا اضطراري، ولو لم يكن كذلك لما كان فيه مزيد فائدة، ولذا قال بعضهم: لو يباع الجوع في السوق للزم المريدين ألا يشتروا غيره، ولكن بشرط ألا يضر بنيت، وقد ورد في حديث مرسل: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش، وهو يورث معرفة الشيطان»^(١).

الثالث: السهر، وهو على قسمين:

سهر العين لتعمير الوقت، ولدوام الترقى في المنازل العلية؛ لأن بنوم العين يبطل عمل القلب، ففائدة السهر دوام عمل القلب.

وأما سهر القلب فهو من نوم تيقظه الغفلة، والبعد إلى منازل المشاهدة والقرب.

(١) رواه البخاري (٧١٧/٢)، ومسلم (١٧١٢/٤).

والسهر ينشأ عن فراغ المعدة من فضلات الطعام والشراب، وهو يورث معرفة النفس.

الرابع: الاعتزال، وهو الانفراد والانقطاع عن الخلق إيثاراً لصحبة المولى سبحانه وتعالى، ويكون بالأجسام وهذا حال المريدين، وبالقلوب وهذا مقام العارفين، وهو لا يكفي عن اشتراط الصمت؛ لأنه إن حصل به الصمت باللسان فقد لا يحصل به الصمت بالقلب، فمن داوم عليه وقف على أسرار الوجدانية، وهو يورث معرفة الدنيا.

الخامس: دوام الطهارة ظاهراً وباطناً؛ لأن طهارة الظاهر تؤثر في الباطن، ولما قد ورد في الحديث القدسي: «يا موسى، إذا أصابتك مصيبة وأنت على غير وضوء فلا تلومن إلا نفسك»^(١).

ولقوله عليه الصلاة والسلام: «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق»^(٢).

والحديث محتمل للرزق الظاهر والباطن، وهي تورث معرفة تطهير القلب وتركيبته.

السادس: مداومة الذكر بالاسم الذي يلقي الشيخ المريد به، فإن المريض إذا استعمل الدواء المناسب لمرضه ومزاجه أثر معه ذلك بقدرته الله في الحال، والشيخ لا يلقي المريد إلا ما يناسب حاله، فلا ينبغي للمريد أن يستعمل إلا ذاك؛ لأنه أنفع للقلب من ذكر المحبوب، وهو يورث معرفة المذكور.

السابع: نفي الخواطر عن القلب لئلا يشتغل بها عن استحضار معاني الذكر، والحضور والخشوع فيه، وينفيها يحصل خلوص القلب من الأكدار، وتظهر فيه لمحات الأنوار، وهو يورث معرفة تخليص التوحيد من الشرك الخفي.

الثامن: ربط قلب المريد بالأستاذ، ومعناه أن يداوم المريد على مشاهدة صورة الشيخ، وهذا أكد الشروط عند القوم، وهو يورث معرفة الترقى من مقام إلى آخر.

ومن أوصافهم إذا اجتمعوا في حلقة ذكر أن تتوافق أصواتهم؛ لأن ذلك أبلغ في التأثير، وإذا خالف أحدهم ينبغي أن يرجع إلى موافقتهم، فإن لم يرجع يكون أساء مع

(١) رواه البيهقي في الشعب (٢٦٦٣).

(٢) ذكره المناوي في الفيض (٢٧٣/٤).

إخوانه؛ لأنهم لا يحصل لهم الحظ التام إلا إذا توافق منهم الأصوات، وكانت مسألتهم واحدة، وأن يتضاموا لئلا يدخل الشيطان بينهم، وألا يخلو بأدب من آداب الذكر، وهي عشرون أدباً، خمسة سابقة على الذكر، وإثنى عشر في حالة الذكر، وثلاثة بعده.

فأما الخمسة التي قبله:

فأولها: التوبة، وحقيقتها عند القوم: ترك ما لا يعني قولاً وفعلاً، وإرادة، ومعنى ذلك كل شيء لا يرقى المرید في طريقه فليتركه.

ثانيها: الغسل للذكر أو الوضوء.

ثالثها: السكون والسكوت ليحصل له بذلك الصدق وجمية القلب على الحق سبحانه وتعالى، ثم بعد ذلك يشغل قلبه في الذكر، ثم يتبع اللسان القلب.

رابعها: أن يستمد بقلبه عند شروعه في الذكر همه شيخه.

خامسها: أن يرى أن استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من النبي ﷺ لأنه الواسطة بينه وبينه.

وأما الاثنى عشر التي في حالة الذكر:

فالأول: جلوسه في مكان طاهر.

الثاني: أن يضع راحتيه على ركبتيه.

الثالث: تطيب مجلس الذكر بالرائحة الطيبة، وكذلك ثيابه.

الرابع: ليس اللباس الطيب الحلال، ولو شراميط الكيمان.

الخامس: اختيار المكان المظلم إن وجد.

السادس: تغميض العينين لكي تشد طرق الحواس الظاهرة، ويسدها تنفتح

حواس القلب.

السابع: أن يخیل شخص شيخه بين عينيه، وهذا أكد الآداب.

الثامن: الصدق في الذكر حتى يسئوي عنده السر والعلانية.

التاسع: الإخلاص فيه، وهو تصفية العمل من كل شوب.

العاشر: أن يختار من صيغ الذكر (لا إله إلا الله) فإن لها عند العارفين تأثير لا يوجد في غيرها من الأذكار.

الحادي عشر: استحضار معنى الذكر بقلبه على اختلاف درجات المشاهدة في الذاكرين، ويجب على المرید أن يعرض على شيخه كل شيء ترقى إليه من الأذواق ليعلمه كيفية الأدب فيه.

الثاني عشر: نفي كل موجود حال الذكر في القلب سوى الله سبحانه وتعالى؛ فإن الله غيور أن يرى في قلب عبده المؤمن غيره، ولولا أن الشيخ له مدخل في التربية والترقي ما شرطوا على المرید تخيله في قلبه، وإنما نفوا على القلب كل ما سوى الله ليتمكن لهم تأثير (لا إله إلا الله) بالقلب، ويسري إلى جميع الأعضاء كما أنشدوا في ذلك:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وأجموا على أنه ينبغي للمرید إذا ذكر الله أن يهتز من فوق رأسه إلى أصابع قدميه، وهي حالة يستدل بها على أنه صاحب همه فيرجى له الفتح عن قرب.

وأما الثلاثة التي عقب الذكر:

فأولها: أن يسكن إذا سكت ويخضع ويحضر مع قلبه مترقباً لوارد الذكر فلعله يرد عليه وارد فيعمر وجوده في لحظة أكثر مما تعممه المجاهدة والرياضة في أكثر من ثلاثين سنة، وذلك أنه إذا كان الوارد وارد زهد فيجب عليه التمهّل فيه حتى يتمكن فيه الزهد ويصير يتنفس إذا فتح عليه بشيء من الدنيا عكس ما كان عليه في الأول، وإن كان وارد صبر على تحمل الأذى مثلاً فيجب عليه التمهّل فيه حتى يستحكم، ويصير إذا قام الوجود كله عليه بالأذى لا تتحرك منه شعرة كما لا يتحرك الجبل من نفخة ناموسة وهكذا بخلاف ما إذا لم يترقب حصول شيء من ذلك، فإن لا يحصل له تحقق بذلك المقام الذي أتى به الوارد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ فما لم يكن عند الذاكر اشتياق وطلب لشيء لا يعطاه.

ثانيها: أن يزعم نفسه مراراً من ثلاثة أنفاس إلى سبعة إلى أكثر من ذلك بحسب قوة

عزمه، وهذا كالمجمع على وجوبه عند القوم، فإنه أسرع في تنوير البصيرة، وكشف الحجب، وقطع خواطر النفس والشيطان.

ثالثها: منع شرب الماء عقب الذكر، فإن الذكر يورث حرقة وهيجاناً وشوقاً إلى المذكور الذي هو المطلوب الأعظم من الذكر، وشرب الماء يطفئ تلك الحرارة. فليحرص الذاكر على هذه الثلاثة آداب فإن نتيجة الذكر إنما تظهر منها.

ذكر هذه الآداب الشيخ الشعرائي في «النفحات القدسية في بيان قواعد الصوفية» وقال فيها: «ولقد رأيت مرة سيدي الشيخ محمد الشناوي رحمته في المنام بعد موته، فقال لي: أدب أصحابك حتى يثمر فيهم الذكر، فإن الذاكر إذا لم يكن معه أدب فهو كذكر الشيطان لله عز وجل سواء، والشيطان لا ترق له بذلك لأنه ممن سبق له الشقاء».

فينبغي لمن أراد أن تظهر له ثمرة ذكره أن يقوم بهذه الآداب جميعها، ولا يخل بشيء منها؛ فإن فائدة الذكر لا تظهر بدونها.

ومن أخلاقهم الرق واللين وخفض الجناح لإخوانهم، وإذا أراد أحد أن ينصح أخاه فالنصيحة بلطف لقوله ﷺ: «من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف»^(١).

وليحسن خلقه في معاشرته لإخوانه، وليكن هيناً ليناً لقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الخلق»^(٢).

وكان يقول في دعائه: «اللهم حسن خلقي وخلقي»^(٣).

وليكونوا على بعضهم أشفق من أحدهم على نفسه، وأن يوقظوا بعضهم بعضاً في الأسحار، وأوقات الغنائم والأذكار بتلطف، وأن يخص كل منهم إخوانه بالدعاء في أوقات حصول الاستئناس والبسط لأحدهم في الخلوات؛ لأن دعاء الأخ في ظهر الغيب لا يرد، وألا يسلم كل منهم لصاحبه ما يقتضيه الطريق إلا إذا كان الفاعل لذلك الشيء

(١) رواه الديلمي (٥٨٥/٣)، والبيهقي في الشعب (٩٩/٦).

(٢) ذكره المراقبي في تخريج أحاديث الإحياء (٢٨١/٥)، وقال: أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بإسناد فيه ضعف.

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢١٧/١).

أعلى من المعترض فينبغي له أن يستفهم عن ذلك من الأعلى، ويسلم له فعله إذا جاء بحجة مرافقة للطريق، وأن كلاً منهم يقدم مصالح إخوانه على مصالح نفسه، ويرى الفصل لأخيه حيث إنه تسبب له في نيل الثواب باستقصائه لحاجته، قال عليه السلام: «إن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه».

وإذا غاب أحد عن الأوراد فليسالوا عنه، فإن غاب لحاجة دعوا له بقضائها، وإذا كان مريضاً عادوه، وإن احتاج أحد منهم للخدمة جلس عنده للخدمة وطلبوا له من الله الشفاء عقب التهجد وفواتح الأوراد، ويكونون كلهم كجسد واحد.

ومن أوصافهم: إذا وجدوا في باطنهم ضيقاً فإن يكن الذي أصابه ذلك عند الشيخ أخبره به وإلا فيتوجه بكلية إلى أستاذه ويسأله رفع ذلك عنه، وإن حرم أحدهم اللذة في مناجاته وطاعاته فليبادر بالتوجه والاستغفار؛ فإن ذلك من عقوبة ذنب صدر منه، وليحذر المريد من تغيير باطن الشيخ عليه؛ فإن ذلك يؤثر في المريد ولو بعد وفاة الشيخ. وقد قال بعضهم: لن يصيب المريد آفة من الآفات ما دام باطن الشيخ متوجهاً إليه، فإذا طرقت آفة فليبادر إلى شيخه ويسأله المساعدة إن يكن الشيخ عنده، وإلا فليتوجه بقلبه إلى الشيخ ويسأله الصفع عنه، ولهذا قال سيدي أبو العباس المرسى -قدس الله سره-: كل مريد خاف من الخلق مع وجود أستاذه فهو كاذب في إرادته، وفي استناده إلى شيخه، فإن المريد مع شيخه كولد اللبوة في حجرها، أفترها تاركة ولدها لمن يريد اغتياله؟ لا والله.

ومن خلقهم: الذل والانكسار مع الصغار والكبار؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر على الله وضعه الله».

وقد قال السيد الجليل الإمام عبد القادر الجيلاني -قدس الله سره-: ما وصلت إلى الله بقيام ليل ولا صيام نهار ولكن وصلت إلى الله بالكرم والتواضع وسلامة الصدر.

والأى يكون عندهم حقد ولا حسد ولا مشاحنة ولا استهزاء بأحد من المخلوقين، وأن يبادروا بالأعمال الصالحة، ولا يهملوا وقت عبادة إلى غيره فما فات لا يعاد، وإلى ذلك

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٧٤)

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٧/ ١٢٠)

أشرت بقولي:

ثم وبإدرا ودع جميع المعاصي
ثم إياك عل فهسي خليلي
ثم خف في المعادي من عدل عدل
وتجرد فكهم تفرى يا مغنسي
لا تعرج على السوي ودع المي
ثم قم في الدجى ناجي بذل
وتخلق بالصدق والإخلاص
علة للردى نجر النواصي
عالم ثم للذنوب فحاصي
عن حى ذا الإله باللهر قاصي
ل لقول الوشاة في الأشخاص
سبدي من سواك حسن خلاصي

وقد قيل: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

ومن شأنهم: دوام المجاهدة، وترك الشهوات، فمن وافق شهوته عدم صفوته.
وانهم لا يبالون بكلام العذار من أهل الجدال، ومن لم يسلك الطريق، ولا ذاق
حلاوة التمزيق والجمع والتفريق.

ومن أخلاقهم: الإقبال على الأستاذ بالكلية لكي يقبل هو عليهم كذلك، وهذا من
باب العدل، وفي المحبة أن يحبوه أكثر من مالمهم وأهلهم وولدهم ونفوسهم والخلق أجمعين
بعد محبة الله ورسوله، وذلك للأشياخ عليهم السلام بالإرث لأن الخير كله عند الأشياخ عليهم السلام لأنهم هم
الأيواب، ولقد قلت في ذلك:

الخير في باب الشيوخ فلذ بهم
وأقم على أعتابهم بتذل
قوم لهم رتب المعالي منزل
والقلب قربا ينجلي بسنائهم
كيا يزول عن العيون غشاها
يزول عن عين القواد غطاها
ونزيلهم يرقى إلى أعلاما
والروح فيهم تحتظي بمناما
دع عنك يا جاني شهود سواها
يا طالبًا في غير سلمى مطلبًا

واطلب بصدق شربة تزل الظما وهي الشفا أواه ما أحلاها

ومما يجب عليهم: عدم تتبع عورات الخلق، وإذا ظهرت من أحدهم هفوة ستروها أو زلة تجاوزوا عنها، وإذا كشف لأحدهم عن عورات الناس سأل الله أن يستر عنه ذلك؛ لأن ذلك كشف شيطاني لا يعاب به، وفي حديث الطبراني مرفوعاً: «من تتبع عورات الناس تتبع الله عورته، ومن تتبع عورته فضحه ولو في جوف رحله».

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: والله لقد أدركنا أقواماً لا عيوب لهم فتبعوا عورات الناس فأحدث الله لهم عيوباً.

وكان سيدي أحمد الزاهد يقول: إذا رأيتم أحداً من إخوانكم على معصية فاستروه، فإن تجاهر بها فوبخوه بينكم وبينه، فإن لم ينزجر فوبخوه بين الناس مصلحة له لعله يرعوي وينزجر، وما دام يعصي في قعر داره ولو بحضرة أطفال داره فهو لم يتجاهر إلا إذا كانت الأطفال من أهل العبارة فإنهم كالرجال.

وقد أنشد بعضهم في ذلك:

قبیح علی الإنسان ينسى عيوبه ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى
فلو كان ذا عقل لما غاب غيره وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

ومن شأنهم: أن ينفقوا على إخوانهم وعلى نفوسهم كل ما فتح الله به عليهم أولاً فأولاً، ولو كان شيئاً زهيداً، ولا يعودون نفوسهم الاختصاص بشيء عن إخوانهم أبداً، فإن من أثر نفسه على إخوانه في الشهوات لا يفلح ولا يرتقي المقامات، ومن شأن المتقدم عليهم في البدء والختم ألا يعجل عليهم في الختم على الخصوص إذا رأى الذكر قد احتبك، والأصوات قد توافقت والأشواق قد تحركت فليصبر على إخوانه حتى يعلم أنهم قد أخذوا بعض حظهم من الذكر وبعد ذلك يختم، وأيضاً فينبغي له ألا يشدد عليهم إذا رآهم قد ملوا وغلبهم النعاس أو فيهم ذو حاجة فالرفق بالإخوان محمود، وينبغي لهم أن كل من تقدم عليهم يقدمونه ولا يتنافسون، فيقفون عن السير.

وهذه من وصية سيدي أحمد الرفاعي رحمه الله لأصحابه، وينبغي لهم ألا يتقدموا في بدء الفواتح وختمها على من قدموه أولاً، وأن يوافقوه في ذكره ولا يخالفوه وليحذر المتقدم من رؤية نفسه على إخوانه في تقديمهم له وإياه وحسب الرئاسة؛ فإنها سيف قاطع يقطع ظهور المريدين الذين ليسوا بصادقين، فإن الرئاسة لا تحل في قلب أحد إلا هلك.

ومن الواجب عليهم: عدم الإنكار على أحد من الخلق إلا أن يكون فعله يناقض الشريعة مع ثبوت عقله، وأما من زال عقله بعارض كوني أو تجلي إلهي فلا يعترض عليه، فإنه مسلوب الاختيار، وإذا لقي أحد منهم أخاه أن يتصافحا ويسلم كل منهما على أخيه، ويسأله الدعاء في ظهر الغيب عند المفارقة، وإذا سأل أحد منهم عن حال أخيه أثنى عليه غاية الثناء لما يعتقده من أخيه في علو المقام، ولا يوافق من يحط على أحد من إخوانه ولو كان ذلك أيضاً من إخوانه بل ينهيه على ذلك، ويحذره من مثل هذا، فإذا انتهى وإلا هجره ليتهي، وإذا نقل له أحد أن بعض إخوانه قذفه أو سبه فليقل للناقل: يا هذا، أنا لا أصدق في أخي ما تقول لما أعلم من وده، وإذا وقع من أخي ذلك فلغلبة نار نفسه عليه، وليس ذلك باختياره، وأنا أشهدك أني سأعنته، فهذا لا يقع التنافر بين الإخوان.

ومن أوصافهم: ترك المجادلة والمباحثة والمارة فإن طريق القوم بعيد عن ذلك، وينبغي إذا سأل أحدهم عن مسألة أن يدفع السائل إلى الشيخ، فإن لم يكن فإلى أحد إخوانه، فإن لم يكن منهم أحد ولا كان في ذلك المكان من يدفعه إليه فحيث يشاء يجيبه المريد مع رؤية نفسه أنه ليس أهلاً لذلك، فإن كل من فتح على نفسه من المريدين باب المجادلة فقد فتح على نفسه باب الرئاسة، ومن فتح على نفسه باب الرئاسة لا يفلح أبداً، فليجتهد المريد في شرط الصمت ما أمكن.

ومن شأنهم: التباعد عن مخالطة الأحداث ومعاشرتهم؛ فإن معاشرته مثل هؤلاء مما يوقع المريد في المهالك؛ لأن النفس أماره بالسوء ميالة إلى المعاطب، تلقي صاحبها في المهلكات، وتحسن له فعل مثل ذلك، ويساعدها الشيطان والهوى في مرامها حتى يسقط المريد في وادي الميل إلى الأحداث أو النساء فيقع بسبب ذلك في الأمور التي لا ترضي نعوذ بالله من شرور نفوسنا الأبية، ونسأل الله تعالى المعونة على دسائسها الخفية، وقد قال القشيري رحمه الله: ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فليجمع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله وخذله بل

ذكر
الطريق
الطبيخ
والمرارة

عن مصالح نفسه شغله، ولو بألف ألف كرامة أهله.

وكان الواسطي عليه السلام يقول: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأتنان والجيف، يريد بهم الشباب المرد الذين تميل إليهم النفوس، فليحذر المريد الصادق من مجالسة الأحداث إلا في حلقة الذكر أو الدرس بحضرة الشيخ مع غض البصر عنهم ما أمكن، وكذلك النساء ومؤاخاتهن والاجتماع بهن كما عليه غالب فقراء هذا الزمان، فإن ذلك لا يجوز، وأما وعظهن والنصيحة لهن فذلك جائز.

ولقد قلت:

نصحتك يا هذا فإن تك طالباً	طريق الهدى فاعمل بكل كلامي
ويمم بصدق للطريق فإنه	به يحتظي المشتاق كل مرام
طريق به نور الولاية ساطع	رفيق بمن وافوا إليه ظوامي
وفيه فلذ إن رمت ترقى إلى العلا	وسر باجتهاد وأنف طيب منام
فإن كنت من خطابنا قم بقولنا	والأفسر عنا أخي بسلام

وهذا القدر كافي للإخوان الصادقين والمريدين العاشقين، فإن الذكي يفهم بالتلويح والإشارة، والغبي لا يفهم ولا بصريح العبارة، ومن عمل بالقليل جره ذلك إلى الكثير، ونسأل الله سبحانه أن يوفقنا وإخواننا وأحبابنا إلى ما يرضيه من قول وعمل وأن ينجم لنا بالحسن عند انتهاء الأجل، وألا يجعل حظنا القول باللسان، وأن يخلقنا ويحققنا في المعارف الدنية والأسرار الخفية في السر والإعلان إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو الذي جمع الخيرات طوع يديه، وصلى الله وسلم على الحبيب الأعظم والسيد الأفخم، الإمام الجليل، والحبيب النبيل، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وشيعته ووارثيه وحزبه والتابعين لهم إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، آمين يا رب العالمين.

العهد الوثيق

في التوسل بالسادات الخلوتية أهل الطريق

لمنشئها الشيخ حسن عباس، الخلوتي طريقة، الشافعي مذهباً، الطوخي مولداً،
المنصوري إقامة، المتوفى يوم الخميس سنة ١٣٤٧ هـ

يا رب بالسر الخفي الساري	فضلاً أجرتنا من عذاب النار
والطف بنا في أمرنا عند القضا	وتوفنا كرائم مع الأبرار
يا رب بالمهد الذي أودعته	جبريل يبلغه إلى المختار
وأمين مر الوحي بلغه كما	عهد الإله إليه في أسرار
حقق مآربنا وقسم نصرتنا	واخذل جنود عصابة الكفار
نور بصائرنا بجاء نبينا	طه وبدل عسرتنا بيسار
ونبينا المختار بلغه لمن	أخاه سيدنا علي الكرار
السيد الأتقى إمام العابدين	من الذاهين وقلوة الأحيار
وعلي الكرار لقن سيدي	حسننا هو البصري ضيا الأبصار
وحبيب العجمي عنه وقد جبا	داودا الطباطبائي بالأنظار
معروف الكرخي عن داود قد	أخذ الطريق إلى السرى الساري
وعن السرى أخذ الجنيد رئيسهم	هو سيد الصوفية الأخبار
فمن الجنيد العهد قد وافى إلى	عمشاه دينور أبي الأسرار
ومحمد الدينور عن عمشادهم	ملك الطريق قفاق كل مبار
ومحمد البكري اقتدى بمحمد	وبه وجيه الدين في استبصار
ووجيه دين الله عاهد سيدي	عمر الذي يعزى إلى ذي الغار

وأبو النجيب السهروردي أخذ
 والسهروردي للأبهري مرشد
 ومحمد وهو النجاشي أخذ
 أما شهاب الدين وهو محمد
 فمن النجاشي ثم لقن عهده
 ينمى لتبريز التي هي أرضه
 الزاهد الكيلاني وهو ملقن
 الخلوقي وله طريقتنا عزوا
 عمر الذي قد نال عنه عهودها
 والحاج عز الدين عن مبرام قد
 والعز لقنها لصدر الدين من
 والشيخ يحيى صاحب الورد اهتدى
 ومحمد بن بهاء دين الله عن
 جليبي سلطان أفندي أخذ
 والقسطموني وهو شعبان خي
 والقسطموني وهو يحيى الدين من
 عمر الفؤاد القسطموني تابع
 لملي قرا باشا به تبعية
 ولسيدي عبد اللطيف به اتسا

عهدًا عن البكري ضوث الجمار
 ومحمد قطب الدين بسالانوار
 عن قطب دين الله في استظهار
 شيراز منشؤه وأصل السدار
 لجمال دين الله في التسيار
 وبه لإبراهيم عهد جمار
 لمحمد ليث الطريق الضار
 نسبًا ولقنها إلى الأظهار
 وبه إلى مبرام نور سار
 نجحت مقاصده بحسن جوار
 غرب الجزائر من جيان السدار
 بمنار صدر الدين خير منار
 يحيى تلقن ورده الستار
 عنه خير الدين عهد البار
 سر الدين يقفواثره وبار
 شعباننا قد مد بالأصار
 وبه أخو جرم أخو استبصار
 ولمصطفى درنا اقتفا السيار
 في عهده وطريقه ووقار

وأماننا البكري المسمى مصطفى
 عن سيدي عبد اللطيف سلوكة
 قد جسد فيه مجدداً أوراده
 والسيد البكري لقن قطبنا
 ولسيدي الدرديري أحمد نسبة
 ثم السباعي صالح عن أحمد
 والحاج طلخان اقتدى بمحمد
 عنه تلقى شيخنا الجمل الذي
 جازاهم الرحمن خير جزائه
 وأباحنا نظر الرضا في جنة
 منتمين علي الأرائك ناظريه
 من أنشأ الأوراد بالأسرار
 شهر الطريق بسائر الأقطار
 حتى استضاء به كضوء نهار
 السيد الحفني أبا الأنوار
 للعارف الحفني عزيز الجار
 ومحمد نجل السباعي المار
 والسر منه لشيخنا استشار
 عنه وصلت المهدي بالأذكار
 وأمدنا معهم بحسن جوار
 وسقى جماعتنا من الأنهار
 من جنابه الأعلى مع النظر

التوسل بالجميع

منوا وجودوا أيها السادات
 منوا علينا واعطفوا يا سادتي
 لا تمنعونا فضلكم فلكم لكم
 ولكم دللتم حائراً عن رشده
 حسن خويدمكم وفعلي سيء
 وهو المسكين الذي أترته من
 نظراً إلي بنظرة أحيائها
 أنتم غيات الخلق سادات الوري
 فبذكركم تنزل الرحمات
 أنتم لطلاب الرشاد هداة
 لمن انتم لي لجنابكم نفحات
 وعلاء منكم همه وثبات
 وعلى فعال الشر لي وثبات
 زمز الزنوب جحافل وثبات
 ويكون لي برضاكم إثبات
 وعلى انتباهي أنتم أثبات

نظراً إلى المحسوب من خدامكم بل عبدكم يا أيها السادات

الدعاء بهم

ياربنا ندعوكا بخواص من عبدوكا ياربنا نرجوكم نصراً عزيزاً عاجلاً

نصراً بلا إهمال.

ياربنا لطفاً لطفاً إلهنا عطفاً عطفاً لبلائنا كشفاً كشفاً وارفع غلاء نازلاً

وتبدد الأوجال

ياربنا ضاق الخناق إلهنا حل الوثاق ياربنا كشف المشاق والرفق في هذا الغلا

وتحول الأحوال

يا من مجيب السائلا يا من يغيث الأملا الكل أقبل سائلاً، نظر الرضا كشف البلا

يدعو بذل سؤال

اخذل جنود المعتدين شئت جيوش الظالمين أقبل دعاء المسلمين يا من يغيث السائلا

بتحقق الآمال

ثم الصلاة على النبي الهاشمي البشري وسلام ربي الطيب ولصحبه، ولمن تلا

ولصحبه والآل

ما لاح نجم أو غرب ما انهل غيث، وانسكب ما لجّ داع في الطلب وأجابه رب العلا

وأجيب في التسال

الحمد لله الذي هدانا، وجعلنا من أتباع سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، ونسأله حسن الخاتمة إنه سميع.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

الوصية الجليلة للسالكين لطريقة الخلوتية